**خاتمة**

يتبيّن لنا من خلال هذه الدراسة أنّ كتاب **المواقف والمخاطبات** يتجاوز كلّ القواعد والمسلّمات في عصره، بل يتجاوزها لقرون عديدة بعد القرن العاشر الميلادي. وبالرغم من بقائه في الخفاء لحقبة طويلة، إلاّ أنّه شكّل مرتكزًا للتصوّف في القرن الثالث عشر الميلادي، وقد تجسّد ذلك بتبنّي ابن عربي لفكر النفّري في التصوّف. ومن الجدير بالذكر أنّ ابن عربي تناول النفّري وكأنّه كان حاضرًا طيلة الفترة السابقة، وهذا يتيح لنا الاستنتاج بأنّ ثقافة عصر النفّري لم تكن ناضجة لتلقّي مثل هذا الفكر، نظرًا لانغماسها في توكيد الشريعة، وجعلها الركيزة الأساسيّة لأيّ خطاب روحي أو فلسفيّ.

إنّ عدم انتماء النفّري لأي مذهب صوفي، ونزعته المطلقة في الكتابة، جعلا من نصّه نصًّا "لا منتميًا"، وقد يكون هذا سببًا في عدم رفضه أيضًا، أو في عدم اتّهامه بالكفر والزندقة، كما حدث للكثيرين من المتصوّفة. فكتاب **المواقف والمخاطبات**، وفقًا للمفاهيم السائدة، كان اختراقًا خطيرًا للفقه وللقرآن، وهذا يعني أنّ بنية النص لم تتِح إمكانيّة حتى للرفض. وفي الحالتين، عدم التبنّي وعدم الرفض، برأيي سببهما حداثة هذا النص، من ناحية المضمون ومن ناحية ألأسلوب. ولا شكّ أنّ هذه الحداثة نابعة من كون النصّ بأكمله وارد من المطلق، ممّا حدا بالنفّري لأن يكون مخلصًا لهذه الحقيقة، وممّا ألزمه بخلق كتابة جديدة تتلاءم مع كنه المطلق، ففي نهاية الأمر يتكوّن النص في لحظة اللقاء بالحقّ.

سأستعرض فيما يلي الاستنتاجات من خلال هذه الدراسة:

**1**. توصلنا في الفصل الأوّل إلى أنّ كتاب **المواقف والمخاطبات** يشكّل مشروعًا، فاختلافه عن باقي مخطوطات النفّري يقودنا إلى احتمالين: إمّا أن يكون النفّري قد جمع خلاصة فكره في هذا الكتاب، أو أن هناك أشخاص آخرين من سلالة النفّري قد تدخّلوا في جمع هذا الكتاب، وفي الحالتين نحن أمام خطاب كانت له أهدافه ضمن الثقافة السائدة.

**2**. في الفصل الثاني تناولنا أزمة التصوّف في القرن العاشر الميلادي، والتي تمثّلت بمعاناة المتصوّفة من السلطة الفقهية، نظرًا لتعارض الفكر الصوفي مع السنّة والكتاب. وهذا ممًا أدى إلى نشوء التيار الصوفي التوفيقي، لترسيخ الفكر الصوفي كنهج لحياة الفرد في إطار الجماعة، وليصبح التصوّف جزءًا من حياة المسلم ومنظومة الشريعة.

فمنذ بداية القرن العاشر أصبحت المؤلّفات الصوفيّة مقتصرة على تجميع التراث الصوفي استنادًا على الشريعة، والتوكيد على أنّ منابع التصوّف هي القرآن والحديث النبوي. وبعكس ذلك، ذهب النفّري إلى الدفاع عن التصوّف القويم، بكتابه **المواقف والمخاطبات**، ليعلن أنّ التصوّف الحقيقي هو تجاوز للشريعة، وبهذا يكون النفّري، ولوحده، قد شكّل تيارًا آخر، يرفض التستّر بالفقه كما فعل جميع المتصوّفة منذ أواخر القرن التاسع الميلادي.

**3**. في الفصل الثالث توصّلنا إلى أنّ الوقفة لدى النفّري هي اختصار لمقامات التصوّف، وهي المقام الذي ابتدعه متأثّرًا من متصوّفة القرن التاسع. وتتجلّى حداثة الفكر النفّري في الوقفة في أنّها لحظة فراغ الواقف من الكون، وهذا يتحقّق بالتخلّي المطلق عن السوى، وبهذا التخلّي تسقط الصفات وتستوي الأضداد وقد تتحقّق الرؤية للواقف. والمطلق الذي يصدر عنه الخطاب في الوقفة هو بحدّ ذاته متمنّع ومنفلت، وكلّما اقترب منه الواقف أكثر كلّما ابتعد عنه أكثر. وبهذا يؤسّس النفّري مفهومًا فلسفيًّا جديدًا للمطلق، فقد أطلق على تجربة الواقف بأنها سفر بلا طريق، فبدون الطريق لا يبقى أثر، لذلك تمحو الوقفة الأثر نفسه، وتجعل الواقف دائم الحركة في منطقة المستحيل، بالرغم من مجاورته للمطلق.

**4**. يتبيّن لنا من خلال الفصل الرابع عمق اختلاف النفّري عن معاصريه، وريادته بمبدأ التفكيك في تناوله للتصوّف وللدين. فمن ناحية التصوّف، يجعل النفّري من تجربة الوصول إلى الحقّ فلسفة، متجاوزًا بهذا مفهوم الشطح التقليدي لدى المتصوّفة، وهذا يجعل من تجربته الروحية تجربة كونيّة لا علاقة لها بهويّة الذات البشريّة.

أمّا بالنسبة للقرآن فقد بيّنا في هذا الفصل أنّ النفّري أوّل من تناوله بنهج تفكيكي. فهو قبل كل شيء تنازل عن قدسيّته، وأعلن، وبشكل صريح، عن تجاوز الوقفة للكتاب. فقد ميّز ما بين "أهل الكتاب" وبين "أهل الوقفة"، فالكتاب هو أداة المؤمن للوصول للجنّة، أما الواقف فيتجاوز الجنّة، ففي الوقفة لا جنّة ولا نار. وبما أنّ الوقفة تلغي الوسائط بين الله والواقف، فهي تتجاوز القرآن ومعانيه، لذلك يقوم النفّري يتفكيك الأساس الذي اعتمده أصحاب العقل والنقل في فهم النصّ القرآني، ويطرح فهمًا جديدًا للنصّ القرآني مواكبًا لأحوال الواقف، فيمّحي المكتوب في النص القرآني من خلال قراءة تفكيكيّة.

**5**. في الفصل الخامس توصّلنا إلى أنّ حداثة النفّري الفكريّة تتجلّى في لغة **المواقف والمخاطبات**، فهو يجعل منها موضوعًا ينشغل به مثل انشغاله بفحوى تجربته الروحيّة. فهو لا يتعامل مع اللغة كأداة أو حامل للمضمون، بل هي مضمون بحدّ ذاتها، وبهذا يكون النفّري أوّل مفكّر للكتابة في الثقافة العربيّة. وبنفس الوقت، يمكن اعتبار النفّري أوّل متصوّف يتناول عجز اللغة في وصف تجربة الوصول إلى المطلق. ففي الرؤية يسقط الحرف، وبذلك تندحر اللغة لعجزها عن وصف ما لا يوصف، والمفارقة أنّ النفّري يفكّك الكتابة عن طريق الكتابة، ومن هنا تتألّق اللغة من جديد بأسلوب ينفي المجاز التقليدي ليُستبدل بمجاز المعنى، وهذا ما تجلّى في استواء الأضداد لغويًا، كنتيجة لاستوائها فكريًّا من خلال استراتيجيّة نفي النفي التي اعتمدها النفّري.

في المجمل، يمكن اعتبار هذه الدراسة مدخلاً لفلسفة النفّري، وتطويره لمفهوم التصوّف، بالإضافة إلى موضعة كتاب **المواقف والمخاطبات** في النصف الأول من القرن العاشر الميلادي، واختلافه عن سائر النصوص الصوفيّة التي اتخذت منحىً مختلفًا إذا ما قارنّاها بتصوّف القرن التاسع الميلادي.

سأقوم في المرحلة القادمة، في بحث الدكتوراة، بتوسيع فصول هذه الدراسة، وإضافة فصول جديدة تتناول الجانب السيميائي في نصّ **المواقف والمخاطبات،** وجماليّات هذا النصّ، خصوصًا شعريته الناتجة عن العلاقة الجدليّة ما بين المضمون واللغة.

كما وسأتوسّع في بحث منهج النفّري التفكيكي، ومقارنته بنهج التفكيك الحديث، خصوصًا فلسفة جاك ديريدا. وذلك انطلاقًا من جوهر خطاب النفّري بأنّ السبل التقليدية، بما فيها الكتابة، لا تُمَكّن من الوصول إلى المعنى في تجربة التواصل مع المطلق، فهناك ترجئة واختلاف بشكل مستمر، وهذا ما يطرحه النهج التفكيكي.